الثابت والمتغير في الحياة الزوجية

دكتور /

بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١ هـ =٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعروف بالخير والكرم ، والامتنان المجازي البر بالبر ، وعلى الإحسان بالإحسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله الرحيم الرحمن ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الرسل وخلاصة الإنسان ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

وبعد . . ؛

فإن الحياة الزوجية حياة تقوم على السعادة والطمأنينة والحب والتفاهم المشترك بين جميع أفراد الأسرة ، والمحبة بين الزوجين والتواد والتراحم من أجل النعم التي ينعم الله بها على من يحبه ويرضى عنه ، قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) سورة الروم.

عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاَثَةٌ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاَثَةٌ ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ؛ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ، الْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ. أخرجه أحمد ١٦٨/١(١٤٤٥) . صحيح الترغيب والترهيب ١٩٢/٢.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها . قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول : (أرسلوا بها إلى أصدقاء

خديجة) . قالت : فأغضبته يوما فقلت : خديجة ؟ فقال : (إني رزقت حبها) رواه مسلم (٧ / ١٣٤) .

بل جعل الله تعالى من دعاء عباد الرحمن : " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) سورة الفرقان.

والزوجان العاقلان هما اللذان يحددان من بداية حياتهما الزوجية الأهداف والمبادئ التي ينبغي أن ينيا حياتهما عليها ، وأن يعرفا أن في الحياة الزوجية ما يسمى بالثوابت والمتغيرات .

ويقصد بالثابت في الحياة الزوجية : الأمور التي يجعلها الزوجان في مقدمة الأولويات والاهتمامات والتي لا تقبل المفاضلة ، وتعد من الخطوط الحمراء التي لا يجوز لأحد تجاوزها أو الاقتراب منها ، ولا تخضع للتهاون والأخذ والرد كالصلاة والعبادات والتخلق بجميل الأخلاق وحسن اختيار الأصدقاء والحرص على أكل الحلال وغيرها .

وأما المتغير في الحياة الزوجية : فيقصد به الأمور التي تخضع للمشاورة والنقاش والأخذ والرد كاختيار الملبس المناسب والمسكن المناسب والتخصص المناسب وغيرها من الأمور المعيشية .

وهذه بعض الأمور المهمة في الحياة الزوجية والتي تخضع لنظرية الثابت والمتغير في الحياة الزوجية .

١ – الصلاة :

الصلاة والمحافظة عليها من الأمور الثابتة في الحياة الزوجية والتي لا تقبل التهاون ولا ترك حرية الاختيار فيها ، فالزوج مسئول عن تعليم زوجته وأولاده أمر الصلاة وحثهم بل وأمرهم بالمحافظة عليها ، لقوله سبحانه : " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) سورة طه .

وقوله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) سورة التحريم.

عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ ، أَوْ أَجِيرَهُ ، فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ ، فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، مِنْ عَوْرَتِهِ . أخرجه أحمد ٢/١٨٠(٦٦٨٩) و"أبو داود" ٤٩٥.

فالصلاة هي عماد الدين وأساس الصلاح ودليل على حسن إيمان العبد ،عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، تَرْكَ الصَّلَاةِ.

– وفي رواية : بَيْنَ الإِيمَانِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ. أخرجه أحمد ٣/٣٧٠(١٥٠٤٢) و"مسلم" ١/٦١(١٥٩) والتِّرْمِذِيّ" ٢٦١٨ .

قال الشاعر:

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * * * وأبى معاداً صالحا ومآبا

إن كان يجحدها فحسبك أنه * * * أضحى بربك كافراً مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل * * * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له * * * إن لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للإمام عذابه * * * بجميع تأديب يراه صوابا

لذا فقد حرص النبي صلى الله على تعليم أهله ذلك وحثهم على المحافظة على الصلوات المكتوبات ، والتي هي من أوليات الثوابت في الحياة الزوجية .

أما صلاة النافلة فهي من الأمور المتغيرة التي ليس فيها إجبار بل تخضع للحث عليها لنيل المزيد من رضا الله تعالى ومحبته ، عن أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتِ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ – يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ – لِكَيْ يُصَلِّينَ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ "أخرجه البخاري وأحمد والترمذي ٣ : ٢٢١.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:(رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ.)".أخرجه أحمد ٢/٢٥٠(٧٤٠٤) و((أبو داود)) ١٣٠٨ و١٤٥٠ و((ابن ماجة)) ١٣٣٦ .

عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قِيلَ : فُلاَنَةٌ تُصَلِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِذَا أَعْيَتْ اسْتَرَاحَتْ عَلَى هَذَا الْحَبْلِ ، قَالَ : فَلْتُصَلِّ مَا نَشِطَتْ ، فَإِذَا أَعْيَتْ فَلْتَنَمْ. أخرجه أحمد ٣/١٨٤(١٢٩٤٧) .

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حث أهل بيته حتى الصغار منهم على تلك الصلاة النافلة حتى يعودهم على حسن الصلة والتقرب من الله تعالى ، عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّنِي فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَلَاتِهِ خَنَسْتُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ قَالَ فَأَعْجَبَتْهُ فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُهُ يَنْفُخُ ثُمَّ أَتَاهُ بِلَالٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الصَّلَاةَ فَقَامَ فَصَلَّى مَا أَعَادَ وُضُوءًا. أخرجه أحمد (١ / ٣٣٠) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٣ / ١٥٩ .

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمتُه، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة. فقلته؛ فوقع في قلبي حلاوته. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتُك، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر؛ فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين؛ فوجدت لذلك حلاوة في سري. ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل! مَن كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده؛ أيعصيه؟ إياك والمعصية. الغزالي : إحياء علوم الدين ٣/٧٤.

٢- الكلام :

وكما يحرص الزوجان على الصلاة ويربيان أولادهما على عدم التهاون فيها أو التكاسل أو التغافل عنها ؛ فإن من الثوابت أيضاً التي يجب على الزوجين الحرص عليها وعدم التهاون فيها : نظافة اللسان من الكلام الفاحش البذيء ، لأن بعض الآباء قد يتساهل في هذا الأمر ولا يعرفان أم المرء سوف يحاسب على كل لفظ خرج منه قال تعالى : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) سورة ق.

ولقد ضرب لنا سبحانه المثل الواضح البيّن للكلمة الطيبة وللكلمة الخبيثة فقال : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) سورة إبراهيم.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ:كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ.ى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ.يْهِ ، تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أَدُلُّكَ.ى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، قَالَ ثُمَّ تَلاَ : "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ

عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ : "يَعْمَلُونَ) ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ ، وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، يَا نَبِيَّ اللهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ. أخرجه أحمد ٢٣١/٥(٢٢٣٦٦) و"ابن ماجة"٣٩٧٣ و"التِّرمِذي"٢٦١٦ و"النَّسائي" في "الكبرى"١١٣٣٠ .

عَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ ، وَلاَ الطَّعَّانِ ، وَلاَ الْفَاحِشِ ، وَلاَ الْبَذِيءِ" . أخرجه أحمد ٤١٦/١(٣٩٤٨) ،والبُخاري في الأدب المفرد ٣١٢ .

قال الشاعر:

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه * * * ذا هو أبدى ما يقول من الفم

وكائن ترى من صاحبٍ لك معجبٍ * * * زيادته أو نقصه في التّكلم

لسان الفتى نصفٌ و نصفٌ فؤاده * * * فلم يبق إلا صورة اللّحم والدَّم

فينبغي على الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهم في الكلام الطيب والبعد عن الكلام الخبيث المؤذي وأن لا يتهاونا في هذا الأمر، قال الإمام السبكي ــ رحمه الله ــ : " كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت : اخسأ كلب ابن كلب " قال : فزجرني والدي من داخل البيت ، قلت : سبحان الله أليس هو كلباً ابن كلب ، فقال: شرط الجواز عدم قصد التحقير ، قلت : وهذه فائدة " أهـ . المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ١١٥/١.

ومن الكلام الطيب الذي ينبغي أن يسود داخل الأسرة : قــراءة القــرآن والدعاء وذكر الله والثناء الحسن على من يسدي إلينا معروفا وشكر من أحسن إلينا عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى امْرَأَةٍ ، لاَ تَــشْكُرُ لِزَوْجِهَــا ، وَهِــيَ لاَ تَــسْتَغْنِي عَنْهُ.أخرجه النَّسائي في "الكبرى" ٩٠٨٦.

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليــه وسلم:مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَــغَ فِي الثَّنَاءِ.أخرجه التِّرْمِذِي (٢٠٣٥) و"النَّسائي" ، في "عمل اليوم والليلة" ١٨٠ .

ومن الكلام الطيب الذي ينبغي الحرص عليه قول الصدق والحق والبعــد عن الكذب والرياء والمماراة ،قال الشاعر:

عوّد لسانك قول الصِّدق تحظ به * * * إنّ اللِّسان لما عوّدت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له * * * فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد

ولله در الشافعي حين قال :

إِذَا شِئْتَ أَن تَحْيَا ودينك سالم * * * وحظك موفُورٌ وعِرْضُكَ صَيِّنُ

لِسَانَكَ، لا تذكُرْ به عَوْرَةَ امرِىءٍ * * * فعندك عَوْرَاتٌ ولِلنَّاسِ أَلسُنُ

وإِنْ أَبصرت عَيْنَاكَ عيباً فقل لها : * * * أَيا عَيْنُ لا تنظري؛ فللناس أَعيُنُ

وعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ وجَانِبْ مَنِ اعتَدى * * * وفارِقْ ولكنْ بالتي هي أَحْسَنُ

هذا هو الكلام والحديث الثابت في الحياة الزوجيــة ، وأمــا الكــلام أو الحديث المتغير فهو أن تترك الفرصة لكل فرد داخل الأسرة في التعبيــر عن أحاسيسه ومشاعره وما يحب ويكره بالأسلوب الأمثــل الــذي يــراه شريطة أن لا يخرج هذا الأسلوب عن حد الأدب والذوق الذي أمرنا به .

كما أن له حق انتقاد الآخرين بالأسلوب المناسب دونما تجريح أو تطاول أو جرح للمشاعر والأحاسيس .

٣- الأصدقاء :

الصديق له دور كبير في حياتنا فقد يتوقف صلاح المرء أو فساده على صلاح صديقه أو فساده ، قال تعالى : " الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) سورة الزخرف .

وقال سبحانه : " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) سورة الفرقان.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ قال : قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لَا يَعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ ، يُحْرِقُ بَدَنَكَ ، أَوْ ثَوْبَكَ ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً.أخرجه أحمد ٤٠٤/٤ والبخاري ٨٢/٣ ومسلم ٣٧/٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ. أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٢٣٩ و"أبو داود" ٤٩١٨ .

لذا فإن أمر اختيار الصديق والصاحب الصالح من الأمور الثابتة في الحياة الزوجية ، فلا يجوز للزوج أو الزوجة أن يصاحبا أصدقاء السوء لأن أثرهم سينعكس بالطبع ليس على الزوجين فقط بل على كل أفراد الأسرة ، عَنْ أَبِي سَعِيد الخدري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه

وسلم ، قَالَ:لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا ، وَلاَ يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِـــي.أخرجه أحمد ٣٨/٣(١١٣٥٧) و"الدارِمِي" ٢٠٥٧ و"أبو داود" ٤٨٣٢ والتِّرْمِذِيّ" ٢٣٩٥ .

قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * * * فكلّ قرينٍ بالمقارن مقتدى

قال علي رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

و للشيء من الشيء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال آخر:

تجنب صديق السوء واصرم حباله * * * وإن لم تجد عنه محيصاً فداره

وأحبب حبيب الصدق واحذر مراءه * * * تنل منه صفو الود ما لم تماره

ومن حق الأب أن يمنع أولاده عن مصادقة أصحاب الـــسوء وأن يكـــون حازماً معهم في ذلك ، لأنه راع وهو مسئول عن رعيته عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليـــه وســـلم يَقُولُ:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَـــسْئُولٌ عَـــنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِى أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فـــي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صـــلى الله عليه وسلم وَأَحْسِبُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ

رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِـــهِ ، فَكُلُّكُـــمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُـــمْ مَـــسْئُولٌ عَـــنْ رَعِيَّتِـــــهِ.أَخْرَجَـهُ أحمـد ١٢١/٢(٦٠٢٦) و"البُـخَـارِي" ٦/٣ و٦/٤(٢٧٥١) و"مـسلم" ٨/٦(٤٧٥٥) و"النَّسَائي" في "الكبرى" ٨٨٢٣ .

وأما المتغير في اختيار الأصدقاء فكل فرد في الأسرة حق اختيـــار مـــن يحب ويميل إليه من الأصدقاء والأصحاب ،وفقـــاً للـــضوابط والـــشروط والصفات التي ينبغي أن تتوافر فيمن يختاره الإنسان صديقاً وصاحباً له ، وليس على الوالدين إجبار أولادهم على مصاحبة أشخاص معينين ، بـــل بالنصح واللطف والإقناع .

٤- الأسـرار:

أسرار الحياة الزوجية ووجوب المحافظة عليها من الثوابت التي لا يصح التهاون فيها ، عنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.رواه مسلم (١٤٣٧) وأحمد ٣/٦٩(١١٦٧٨).

قالت أمامة بنت الحارث ابنتها في وصيتها المشهورة قبل زواجها: ".. فإن أفشيت سره فلن تأمني غدره .".

بل يجب أن يعود الأطفال والخدم عليها ، فعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ:قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ ، فَأَخَذَتْ أُمِّي بِيَدِي ، فَانْطَلَقَتْ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ رَجُلٌ وَلاَ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلاَّ قَدْ أَتْحَفَكَ بِتُحْفَةٍ ، وَإِنِّي لاَ أَقْدِرُ عَلَى مَا أُتْحِفُكَ بِهِ ، إِلاَّ ابْنِي هَذَا ، فَخُذْهُ فَلْيَخْدُمْكَ مَا بَدَا لَكَ، فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا ضَرَبَنِي ضَرْبَةً ، وَلاَ سَبَّنِي سَبَّةً ، وَلاَ انْتَهَرَنِي ، وَلاَ عَبَسَ فِي وَجْهِي ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَنْ قَالَ : يَا بُنَيَّ ، اكْتُمْ سِرِّي تَكُ مُؤْمِنًا . فَكَانَتْ أُمِّي وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلْنَنِي عَنْ سِرِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلاَ أُخْبِرُهُمْ بِهِ ، وَمَا أَنَا بِمُخْبِرٍ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحَدًا أَبَدًا .أخرجه التِّرْمِذِي (٥٨٩ و٣٦٧٨ و٣٦٩٨) وانظر: المسند الجامع ٣٩٦/٢).

وعند البُخَارِي عن أنس : أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ ، وَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ يَنْتَظِرُنِي ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَعَثَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي حَاجَةٍ ، قَالَتْ : مَا هِيَ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا سِرٌّ ، قَالَتْ : فَاحْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .البُخَارِي"في (الأدب المفرد) ١١٣٩).

يقول الشاعر:

واحفظ لسانك واحترز من لفظه *** فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به*** فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى ***فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها ***مثل الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء إن لم يطوه*** نشرته ألسنة تزيد وتكذب

ونشر أسرار الحياة الزوجية من الأسباب التي قد تؤدي إلى انفصام عرى الحياة الزوجية ، وهي من الثوابت والأولويات ، وأما المتغير فيها فأحياناً يحتاج المرء في حالة احتدام الخلاف إلى أن يبوح ببعض هذه الأسرار للمقربين فقط وفي حدود معينة حتى يتوصل إلى حل لإنهاء ذلك الخلاف .

٥- الدراسة :

الدراسة وطلب العلم ينبغي أن يكون من الأمور الثوابت في الحياة الزوجية حتى لا يفشو الجهل بين أفراد الأسرة ، فديننا قد جعل شعاره منذ ابتداء نزول الوحي (اقرأ) وقد مدح الله تبارك وتعالى العلم وأهله فقال : " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) سورة آل عمران ، وقال : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) سورة فاطر .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١) ، والترمذي (٣٦٨٢) ، وابن ماجة (٢٢٣) ، وابن حبان (٨٨) ، وأحمد (١٩٦/٥) ، والدارمي (٩٨/١) ، صحيح الجامع برقم (٦٢٩٧) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فسدت وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير

وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله فعلم ونفعه ما بعثني الله به وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به". أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (٧٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٥٩١٢) .

عن مالك ، أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء" . الموطأ رقم (١٨٣١) .

قال هشام بن عمار رحمه الله: باع أبي بيتاً بعشرين ديناراً وجهزني للحج فلما وصلت المدينة أتيت مجلس الإمام مالك رحمه الله وهو جالس في مجلسه في هيئة الملوك والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما حان دوري قلت له: حدثني فقال لا، بل اقرأ أنت فقلت لا بل حدثني ، فلما راددته وجادلته غضب وقال: يا غلام تعال أذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني ثم ردني إلى مالك فقلت :قد ظلمتني فإن أبي باع منزله وأرسلني إليك أتشرف بالسماع منك وطلب العلم على يديك ، فضربتني خمسة عشر دُرّة بغير جرم ، لا أجعلك في حل، فقال مالك، فما كفارة هذا الظلم؟فقلت كفارته أن تُحدثني بخمسة عشر حديثاً ،فقال هشام:فحدثني مالك بخمسة عشر حديثاً فلما انتهى منها قلت له: زد في الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال لي: اذهب وانصرف) من كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي(١٩٦/١).

يقول الإمام علي رضي الله عنه :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقد كلّ امرئ ما كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً *** الناس موتى وأهل العلم أحياء

فطلب العلم وتعلم الضروري منه وما لا يستقيم دين المرء إلا به خاصة أمر لازم لكل أفراد الأسرة ، وينبغي أن لا يترك الأمر لاختيار الأولاد في ذلك ، بل ينبغي حثهم وتشجيعهم بل وزجرهم على الذهاب إلى المدارس والتعلم .

أما المتغير في ذلك فإذا ما كبر الأولاد ووصلوا إلى سن اختيار الدراسة التي تناسب ميولهم وإمكاناتهم وما تميل إليه نفوسهم فإنه ينبغي عدم إجبارهم على تخصص معين ودراسة ما ، بل ترك الحرية لهم في اختيار التخصص الذي يناسبهم .

٦- البيت :

البيت في الحياة الزوجية هو الملاذ الآمن الذي يهرع إليه جميع أفراد الأسرة يستروحون في ظله ويأنسون في كنفه ، فالحياة الزوجية مصدر السكن (لتسكنوا إليها) ومصدر الأمن والأمان والحب والتراحم (وجعل بينكم مودة ورحمة) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا.

أخرجه"البُخَارِي" ، في "الأدب المفرد"٣٠٠ و"ابن ماجة"٤١٤١ و"التِّرمِذي" ٢٣٤٦ .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ:لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَابْتَدَأْتُهُ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ ؟ قَالَ : يَا عُقْبَةُ ، احْرُسْ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ.أخرجه أحمد ١٤٨/٤(١٧٤٦٧) و"التِّرمِذي"٢٤٠٦ .

فالزوج العاقل لا يجد راحته ولا أنسه إلا في بيته وبين أهله وعشيرته ، والزوجة العاقلة لا تترك بيتها لأي سبب من الأسباب ، قال تعالى : " لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) سورة الطلاق .

عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ ، فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ.أخرجه أحمد ٢٨٣/٥ (٢٢٤٠٤) و"الدارِمِي" و"أبو داود" ٢٢٢٦ و"ابن ماجة" ٢٠٥٥ .

وعلى الزوج أن يفهم زوجته من أول يوم أن الخلافات الزوجية تحل داخل البيت وليس خارجه ، وأن عليها أن لا تترك البيت وتذهب إلى أهلها كلما حدثت مشكلة وهذا من أوليات مبادئ وثوابت الحياة الزوجية ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ.على الزَّوْجِ ؟ قَالَ : أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلاَ يَضْرِبِ الْوَجْهَ ، وَلاَ يُقَبِّحْ ، وَلاَ يَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ. أخرجه أحمد ٤/٤٤٧(٢٠٢٦٢) و"أبو داود"٢١٤٢ و"ابن ماجة"١٨٥٠ و"النَّسائي" في "الكبرى"٩١٠٦.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:ايُّمَا امرأة وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا ، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَابَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ. أخرجه أحمد ٦/١٧٣ و"أبو داود" ٤٠١٠ و"ابن ماجة" ٣٧٥٠ و"التِّرمِذي" ٢٨٠٣. (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٧١٠ في صحيح الجامع .

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ:جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ ، وَتَنَاوَلَهَا ، أَتَرْفَعِينَ صَوتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ : فَحَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا : أَلاَ تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ ؟ قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا ، قَالَ : فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا. أخرجه أحمد ٤/٣٧١(١٨٥٨٤) و"أبو داود"٤٩٩٩ ، السلسلة الصحيحة ٦/٤٠٠.

قال الشاعر في الحنين إلى بيته وزوجته:

حَنَنتَ إلى رَيّا، ونَفسُكَ باعَدَتْ *** مَزارَكَ مِنْ رَيّا وشِعباكُما مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أنْ تَأتيَ الأَمْرَ طَائِعاً، *** وتَجزَعَ إن داعي الصّبَابة أسمَعَا
ولَيسَتْ عَشِيّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ *** عَلَيكَ، ولَكِن خَلِّ عَينيكَ تَدمَعَا
بكَتْ عَينيَ اليُسرَى، فَلَمّا زَجَرْتُهَا *** عَنِ الجَهلِ بَعدَ الحِلمِ أسبَلَتَا مَعَا
وَأذكُرُ أيّامَ الحِمَى ثُمّ أنثَني *** عَلَى كَبِدِي من خَشيَةٍ أن تَصَدّعَا

ومن الثوابت أيضاً عدم تعويد الأولاد على السهر والمكث طويلاً خارج البيت ، وذلك يتطلب من الزوجين تهيئة الجو الأسري السعيد والآمن للأولاد بعيداً عن الخلافات المستمرة والصراعات حتى يحب الأولاد البيت ولا يجدون راحتهم ولا سعادتهم إلا فيه .

وليس معنى ذلك أن يظل أهل البيت محبوسين داخله يمنع عليهم الخروج منه ، بل لا بد من الخروج إلى الحدائق والمتنزهات بين فترة وأخرى لتجديد النشاط والحيوية والاشتياق مرة أخرى للعودة إلى السكن الآمن والملاذ الحنون .

٧- الأكل :

غريزة الأكل من الغرائز التي فطر الله الكائنات عليها ، لكنها لدى الإنسان تخضع لقوانين وأصول ،والأكل وسيلة لتقوية الجسم الذي هو أمانة أمرنا الإسلام بأن نحافظ عليها ، ومن الواجب على الوالدين أن يهتما بتربية الأبناء جسمانياً كما يهتمان بتربيتهم أخلاقياً ونفسياً وعقلياً ، وهذا من الأمور الثابتة التي لا خلاف عليها فمثلاً بعض الآباء يتركون أولادهم يخرجون إلى مدارسهم صباحاً دون تناول طعام الإفطار وهذا مما يؤثر على تركيزهم واستيعابهم وصحتهم بالسلب ، لذا يجب على الوالدين تعويد أبناءهم على تناول طعام الإفطار خاصة وجعل ذلك من الثوابت التي لا تهاون فيها حتى لا يعتاد الأبناء على ذلك ، كما يجب تعويدهم على الاعتدال في الطعام والشراب واللباس وغيرها ، قال تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) سورة الأعراف .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا والْبَسُوا ، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلاَ سَرَفٍ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ. أخرجه أحمد ١٨١/٢ (٦٦٩٥) و"ابن ماجة" ٣٦٠٥ و"التِّرمِذي" ٢٨١٩ .

قال الشاعر:

ثلاثٌ مُهلكات للأنام * * * وداعية الصحيح إلى السقام

دوام منامةٍ ودوام وطءٍ * * * وإدخال الطعام على الطعام

وقال آخر:

يُميت الطعام القلب إن زاد كثرةً * * * كزرعٍ إذا بالماء قد زاد سقيُه

وإن لبيبا يرتضي نقص عقله * * * يأكل لقيماتٍ قد ضلَّ سعيه

وكذا تعويدهم على آداب الطعام والشراب ،والتي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرب الأطفال عليها منذ الصغر ، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ؛أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَعِنْدَهُ طَعَامٌ ، قَالَ : ادْنُ يَا بُنَيَّ ، وَسَمِّ اللهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ.

– وفي رواية : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. أخرجه أحمد ٤/٢٦(١٦٤٤٤) و"ابن ماجة"٣٢٦٥ و"التِّرمِذي"١٨٥٧ و"النَّسائي" في "الكبرى"٦٧٢٣ .

وكذا الالتزام بمواعيد الأكل واحترام تلك المواعيد ، وعدم تعويد الأولاد على أن يأكل كل منهم منفرداً ومتى شاء ، وعدم اجتماع الأسرة على مائدة واحدة ؛ لأن ذلك له أثر سيء على تآلف الأسرة وترابطها.

أما المتغير في قضية الطعام والشراب فهو ترك الفرصة لأفراد الأسرة لاختيار ما يحبه وتميل إليه نفسه من الأطعمة والأشربة طالما أنه لا يخرج عن المألوف والمعتاد ، كما يأكل أحدهم أحياناً منفردا لظروف خاصة أو خارجة عن إرادته .

٨- النوم :

وكما أن الطعام والشراب من الغرائز الفطرية التي يحتاج إليها كل كائن حي ، كذلك غريزة النوم وهي نعمة من أجل النعم التي وهبها الله تعالى للإنسان قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) سورة الروم.

وهذه النعمة قد يسيء بعض الناس استخدامها والتصرف فيها ، فبعض الآباء يتعودون بل ويعودون أبناءهم على جعل ليلهم نهاراً ونهارهم ليلاً ، فيسهرون طوال الليل أمام وسائل الأعلام المختلفة ، بل قد يجلس أحدهم أمام التلفاز حتى يؤذن المؤذن لصلاة الفجر ثم يهرع إلى الفراش دون أن يصلي ، ثم يظل معظم النهار نائماً ، وهذا تغيير للفطرة الربانية والمنحة الإلهية ، فالله سبحانه جعل الليل للسكن والراحة وجعل النهار للعمل والكد ، قال تعالى : "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) سورة الفرقان.

وقال : " وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) سورة النبأ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبَّ الصَّلاَةِ إِلَى اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا.أخرجه "أحمد" ٢/١٦٠(٦٤٩١) و"الدارِمِي" و"البُخَارِي" ٢/٦٣(١١٣١) و"مسلم" ٣/١٦٥(٢٧٠٩) .

والواجب على الآباء أن يكونوا قدوة للأبناء في هذا الأمر ، وأن يعودوهم على النوم مبكرا لما له من فوائد صحية ونفسية ، وأن يكونوا حـــازمين معهم في عدم تعويدهم على السهر ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ:جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم السَّمَرَ ، بَعْدَ الْعِشَاءِ ، يَعْنِي زَجَرَنَـــا.

أخرجه أحمد ٣٨٨/١(٣٦٨٦) وابن ماجة ٧٠٣ وابن خزيمة ١٣٤٠ .

وليس كما يقول الشاعر :

فما أَطَالَ النّوم عمراً ولا * * * قصَّر في الأَعمارِ طول السهَر

ولا كما يقول الآخر :

ناموا ولا نستيقظوا * * * ما فاز إلا النُّوَم

كما أن على الآباء تعويد الأولاد على طرق النوم الصحيحة كمـــا علمنـــا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَـــالَ:كَـــانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ ، تَوَسَّدَ يَمِينَهُ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ. أخرجه أحمد ٣٨١/٤(١٨٦٦٤. والنَّسَائِي ، في "عمل اليوم والليلة" ٧٥٤.

فهذه كلها من الثوابت في الحياة الزوجية ، أما المتغير في هذا الأمـــر ، فقد يتأخر أحد أفراد الأسرة في النوم لظروف عارضة كالمذاكرة وطلـــب العلم ، أو حلول بعض الضيوف ، أو بعض المناسبات كالأعراس وغيرها مما قد لا يستغنى عنه .

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ١٢ ربيع الأول ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠/٣/٢٦ م